حكايات الليالى

(٧)

الطائر المغرّد
الوَحْشان

بقلم

أمين أحمد العطار

الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبى

الطبعة الرابعة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

الطائر المغرّد

« حكايات الليالى » حكايات قصها والد على أبنائه الصغار حين كانوا يجلسون معه كل ليلة ، ملتفين حوله ، ويطلبون منه أن يقص عليهم قصة .
وكان الوالد يجيبهم إلى طلبهم ، ويحكى لهم حكاية من حكايات الليالى . . .
وفى ليلة من الليالى قص عليهم حكاية « الطائر المغرد »

كان المعبدُ فخماً جميلَ البناءِ ، شامخاً فى السماءِ ، قد زُيِّنَتْ جدرانُه وسقُفُه بالصور البديعةِ والأَشكالِ الهندسيةِ الرائعةِ ، من الذهبِ والفضةِ ، وتدلَّتْ من سُقُفِه ثرياتٌ من الجواهرِ الكريمةِ ، عُنِى الملك ببنائِه وزخرفتهِ ، فكان تحفةً لا مثيلَ لها فى البلاد . ومع هذا فإنَّ الملكَ كلَّما نظر إليه أَو تعبَّدَ فيهِ ، أَصابه

غمٌّ وحسرةٌ ؛ لأنه كلَّما شَيَّدَ بُرْجاً فى مَدْخَلِه تصدَّعَ وانهارَ ، دونَ أنْ يعرفَ سبباً لتصَدُّعِه وانهيارِه ، فكانَ شغلَه الشاغلَ الذى وقفَ عليه تفكيرَه فى يقظتِه ونومِه .

وذاتَ ليلةٍ رأى فى منامِه أن شيخاً كبيرًا ، مشرق الوَجه ، وضّاءَ الجبين غطَّت لحيتُه البيضاءُ صدرَه ، يرتدى ثَوباً فَضْفاضاً ناصِع البَياض قد اعتمّ بعمامةٍ كبيرةٍ بَيْضَاءَ وقف أمامَه متكِئاً على عَصَاه ، ثم قالَ :

يا بُنَىَّ لا تَشْغَلْ نفسَك ببناءِ البرجِ ، فلن يَقومَ بناؤه حتى تحضِر الطائرَ المغرِّدَ ، وتجعلَ له سَكَناً فى أعلاه ، ثم اختفَى الشيخُ وغابَ عن عينهِ .

استيقظ الملك فى باكورةِ الصباحِ ، ودعا إليه أبناءَه الثلاثةَ ، فجاءُوا وقعدُوا أمامَه ، فقصّ عَليهم

رُؤْياه ، فتنافَسوا فى إحضارِه ؛ لينفِّسوا عن أَبيهم غمَّه وحسرتَه ، ويستمتِعَ ببناءِ البُرْجِ الذى يريدُه .

فقال أَبوهم : أَحْمَدُ لكمُ تنافسَكُم لإرضائِى وراحتى ، وأَرَى أَن يبدأَ الأَكبرُ فالأَكبرُ . وستكونُ ولايةُ العهدِ لمَنْ يُحْضِرُ الطائرَ منكُم .

حَمَلَ الابنُ الأَكبرُ زادَه ، واتخذ سبيلَه فى الخلاءِ باحِثاً عن مكانِ الطائرِ المغرِّد ، فأَدركه الليلُ وهو قدامَ روضةٍ جميلةٍ ، فعَزَم على أَن يبيتَ فيها ليلتَه ، ثم يستأْنفَ مسيرَه وبحثَه فى ضوءِ النهار .

دخل الحديقَةَ وجلَس على فراشٍ من حشيشِها الأَخضرِ الجميلِ ، ثم أَوقدَ نارًا ، وأَخذ يطهو طعاماً لعشائه . وَبَيْنَما هو يطهو الطعامَ إِذْ حضرَ إِليه ثعلبٌ عجوزٌ معمر ، فوقف أَمامَه وقالَ :

هل يسمحُ لى سيِّدى بِكِسْرَةٍ من خبزِهِ ، وكوبٍ من مائه ، وأَن أَصطَلِيَ على نارِه ؟ فأَمسك الابنُ عصاه الضخمة ، وهوى بها على الثعلب ، فتأَخرَ إِلى الوراءِ فى سرعةٍ ، حتى لا تقعَ عليه العصا ، ثم وقفَ ولوَّح بيدِه فى الهواءِ ، وإِذا بالابن الأَكبر يُمْسَخُ تمثالا من حجر ،

ثم تركه الثعلبُ وانطلق يَمْشِي فى سَبيله ، غَيرَ آسِفٍ عَلى ما فعلَه .

ولما طالت غيبتُه ، واستيأَسوا من عودتِه ، تقدم إلى أَبيه ، الابنُ الذى يليه ، راجياً منه أَن يأْذَنَ له بالرحيل ، فعسى أَن يكونَ أَحسن حظًّا من أَخيه .

* * *

فرح الابنُ حينَ أَذِنَ لَه أَبوه ، واتخذ السبيلَ الذى سلَكه أَخُوه ودخل الروضَة حينَ غربت شمسُ يومِه ، وجلس على مقرُبَةٍ من المكانِ الذى جلس فيه أَخوه وأَخذ يطهو طعامَه ، فجاءه الثعلبُ العَجوز نفسُه وقال :

أَعطِنى يا سيدى كِسرة من خبزِك ، وكأْساً من شرابك وأْئذن لى أَن أَصطلِيَ على نارِك ، فلم يجب

اضطرارَه ، وهوى عليه كأَخيه بعصاه فلوح الثعلبُ بيدهِ وخطَّ بها فى الهواء خطًّا ، فانقلب الابن فى الحال تمثالاً من حجَرٍ كأَخيه الأَكبر ، ثم غادر الثعلبُ الحديقةَ وخَرَج ، لا يلومُ نفسَهُ على شىءٍ فعلَه .

طالت غيبةُ ابن الملك الثانى ، فهاجت فى نفسه الظنونُ والهواجِس ، وخشِى عَلى ابنيه أَن يكونَا قد ماتا ، أَو نزل ضرٌّ بهما ، وأَصابَه غمٌّ من بعد غمٍّ من بعد غمٍّ ، فعزم على ألا يسمحَ لابنِه الأَصغرِ بالرحيل ، وحَسْبُه ما نزلَ به من همٍّ ثقيل ، وما أَصابه من المصائبِ الجِسَام فى بُرجه وفى ولَدَيْه .

كان الابنُ الأَصغر يحسُّ ذلك من أَبيه ، وهُو مُصرٌّ عَلى أَن يخرجَ فى طلبِ الطائر المغرد يتوسَّل إليه ويستعطِفه مرة فى إِثْرِ مرة .

والأَبُ يأْبى أن يأْذَنَ له ؛ لأَنه أصبح بقيةَ أَملهِ من ذريته ، ورجاءَه الوحيد فى أَولادِه . ألح الابن الأَصغرُ على الملكِ إلحاحاً شديدًا ثم قال :

ائذن لى يا أَبى ، وزوِّدنى بدعواتِك ، وكنْ مطمئنًّا ، فاللهُ أَرحمُ بك منك على نفسِك ، فأَكرمْنى بتمكينى من برِّك ، والسعيِ فى راحتك ، فلَنْ يهنأَ لى عَيشٌ ، ما دمتُ أَراكَ قَلِقاً غَير مطمئِنٍّ ولا مُسْتَرِيح

أَشفق الملكُ على ابنهِ من أَجلِ هذا الإلحاحِ الكريمِ البارِّ ، وأَذِنَ له ، وزوَّدَه برضاه ودعواتِه .

• • •

فرح الابنُ الأَصغرُ ، وغادر المدينةَ فى لمح البصر حتى لا يتحرَّكَ الحنانُ فى صدر أَبيه ، فَيمنعه عن السفر ، ويأْمره بالقعُود .

وبعد شهورٍ من مغادرة الابن الأَصغر المدينة عاد الابنُ الأَكبرُ وشقيقهُ الأَوسطُ الذى يليه ، ومعهما الطائر المغرد ، وجاريةٌ حقيرةٌ ، وكَلاَ إليها خِدمةَ الخنازير .

زاطت المدينة بأَهلها فرحاً بقدوم ابْنى الملكِ والطائرِ المغرد ، ولم يلهِهِم فرحهُم عن تذكر ابنهِ الأَصغر الذى لم يُعرفْ له مصيرٌ ولا مستقر ، منذ غادر المدينةَ باحثاً عن الطائر ، فجعلوا يَتَساءلونَ عَنه ، ولكِنْ طَمأَنَهم عليه عودَةُ أَخوَيه ، بَعد أَن كانوا قَدْ يَئِسُوا مِنْها ، كمَا يَئِسَ الكفارُ من أَصحابِ القُبُور.

أَما الملكُ أَبوه فقد ثقلت عليه غيبتُه ، وأَدمى فؤَاده أَلا يكون ابنُه معهم فى هذا الأَفراح التى عمت أَرجاءَ المدينة .

جئت يا مولاى بالبشرى السعيدة . . .

• • •

بنى الملكُ البرجَ وجعل فى أعلاه مِظَلة جميلة تطل على الغادِين والرائحين ، يتدلَّى منها قفصٌ ذهبىٌّ كبيرٌ ، وضَع فيه الطائرَ المغرد .

كان الطائرُ عجيبَ الخِلْقَةِ ، فهو ضخمُ الجسم ، ذو منقارٍ جميل فى لونِ الذهب البراق ، وعينين عسليتين جذَّابتين . وريشٍ ذى ألوان كثيرة متناسقة : تشع منها أضواءٌ مختلفة ، وذنبٍ طويلٍ يزيِّنُه ألوانٌ كثيرة جميلة . ورجلين طويلتين دقيقتين كأنهما خُلِقَتا مِنَ الذَّهَب . .

ارتقب الملكُ وأهلُ المدينة تغريدَه وشدْوَه فى النهارِ وفى الليل ، ولكن الطائرَ فى صمتٍ عميقٍ كأنه صمت الموتى فى القبورِ . وفى انزواء الخائفِ الهالِعِ . وفى

وجوم الثاكِلِ الحزينِ . فكان لهذا وقعٌ أَليمٌ ، وحسرةٌ عظيمةٌ فى قلبِ الملك .

• • •

وبينما الملك جالسٌ ذاتَ يومٍ إذ ركعتْ بين يديهِ الجاريةُ التى جاءَتْ مع ابنيه الكبيرين ووكلاَ إليها خدمةَ الخنازير ، ثم رفعت رأْسَها وقالت :

جئتُ يا مولاى بالبشرى السعيدة ، فقد سمعتُ الطائرَ يغرد ويشدُو فى الصباح .

فرح الملكُ واستبشَر ثُمَّ قالَ : وما الذى جعله يشدُو ويغرِّد بعد سكوتِه الطويل ؟

قالت الجارية : كنت واقفة تجاهَ بابِ المعبدِ ، فرأَيت راعياً فى ريعانِ شبابه وحداثتِه مقبِلاً إلى المعبدِ ، وما كاد يلجُ بابَه حتى انطَلقَ الطائرُ فى شدوِه وتغريدِه ،

والفرحُ بادٍ عليه ، كأنه عَثَرَ على عزيزٍ يحبُّه ، كان قد فقدَه ، ولما خَرَجَ الراعى من المعبدِ رجَعَ الطائرُ إلى صمتِه ، والتفَّ فى رداءٍ غليظٍ من حزنه وانزوائِه .

قال الملكُ : وما شكلُه ؟

قالت : إنّه فتى حدَثُ السِّن ، وثيقُ التركيب ، لا هُو بالطَّويل ولا بالقصِير ، يبدو عليه آثار سفَرٍ طويل ، يرتدى جِلباباً أزرق ، به خُطوط طولية سَوْداءُ ، وينتَعلُ حذاءً كاد يبْلى من كثرة المشيِ فيه ، وبِيدِه عصاً غَليظَة لمْ تُشَذَّب ، يُحيط بوسَطِه نطاقٌ من حَبلٍ أَصْفَر .

فأَسرع الملكُ قائلا : وأَيْنَ هذا الرّاعى ؟ إلىّ به الآن .

قالتِ الجاريةُ فى خضوعٍ ومسكنةٍ :

يبدُو لى من شكلِه أنه غريبٌ ، والغريبُ ليسَ

له مكان يعرَف ، ولقد سمعتُ أن ولديكَ بعثا جماعة من خلفِه ، ليمسِكُوه ويَقْتُلوه .

غضِبَ الملكُ وقال : ما ألأَمكِ من جارية !! وما أبشعَكِ من وَقِحَةٍ !! كيف سوَّلت لكِ نفسُكِ أن تتَّهمى سَيِّدَيْكِ بهذه الخطيئةِ الكبرى ؟! إن هذا لهو الإفْكُ العظيمُ ، اخرُجِى من أمامى أيَّتُها الأفَّاكَةُ الوقحة ، فخرجت الجاريةُ من بينِ يديه وهَى ترتعِشُ من الرعب والخوف .

• • •

خشِيَ الملكُ أن يكون فيما قالتهُ الجاريةُ الصدقُ أو بعضه ، فبعثَ الجواسيس سرًّا للبحثِ عن الراعى ، وإحضارِه إليه . ليتبَيَّن أمره ، الذى أصبح خطيرًا عنده .

أصبح الراعى مطلوباً لجماعة ابنَى الملك ؛

ولعيون الملك وجواسيسه .

وذات يوم وجدَه جواسيسُ الملكِ فى المعبد فأمسكوه. وبينما هم يسيرُون به إلى الملكِ اعترضَهم رجالٌ غِلاظٌ شدادٌ ، وحاولُوا أن يأخذوه من جواسيس الملكِ ويقتلوه ، ولكن الجواسيس استطاعوا أن يحملوه ويفرُّوا به ، ثم دخلُوا به على الملكِ فى مجلسه ، ووضعُوه بين يَدَيه وأخبروه أن عصبَةً من رجال غلاظ اعترضت سبيلَهم ، وحاولوا أن يأخُذُوا الغلامَ من أيديهم غَصْباً ، ولكنهم لم يستطيعوا .

سمع الملكُ هذا. ولكنَّه تلهَّى بالغلامِ ، فما كاد يراه حتى استبشَرَ به ، وأحسَّ عطفاً عليه دون أن يعرِف لذلك سبباً . وكان مجلسُ الملك حافلاً برجاله وحاشيتهِ . فقال له الملكُ :

من أنتَ أيها الفتى ؟ ومتى دخلتَ هذه المدينةَ ؟ ولأى شىءٍ جئتَها ؟ ولماذا يغرِّدُ الطائرُ حين يراك قد دخلتَ المَعْبدَ ، ثم يمسك عن شدوهِ إذا ما غادرتَه ؟

قال الفتى : ستعرف هذا يا مولاى وأكثر مِنْه إذا أذنت لى بسردِ قصتى .

قالَ : هاتِ ما عِنْدَكَ ولا تحجُبْ عنى شيئاً .

• • •

قال الفتى : رأيتُ أبى قد أضنتْه الحسْرةُ على شىءٍ بعُدَ منالُه ، وعزَّ وجودُه ، وغاب عن المعرفةِ مكانُه ، فلم أُطِقْ صبرًا على هذه الحالِ وفى جسمى نَفَس يتردَّد ، فعزمتُ على أن أخرُجَ فى طلبِ هذا الشىءِ ، على ألاَّ أعود إلاَّ به ، أو أموتَ فى سبيلهِ ، لأُنفِّس عن والدى كَرْبَه ، وأُريحَه وأسرَّه بإحضارِه ، فما أنا

إلا نعمةٌ من نِعَمِه ، وما أنا إلاَّ لوالدي متٌّ أو حييت.

فاهتز الملكُ هِزَّةَ طربٍ ولذة ، وقال :

إنك فتًى طيِّبٌ عاقِلٌ ، وبارٌّ وفيٌّ ، أَتْمِمْ يا بُنَيَّ حديثَك .

قال الفتى : مشيتُ على غيرِ هُدًى ، باحِثاً منقِّباً ، حتى وجدتني ذاتَ يومٍ في غروب شمسِه ، أمامَ حديقةٍ فسيحةٍ ، فرأيتُ أن آوِيَ إليها ، وأبيتَ ليلتي فيها .

دخلتُ الحديقةَ وجلستُ على حشيشِها ، ثم أوقدتُ نارِي ؛ لأطهوَ طعاماً لعشائي ، وكانت مني التفاتةٌ قصيرةٌ ، فوجدتُ ثعلبًا عجوزًا قد وقفَ بالقربِ مني ، ففزعْتُ إلى عصايَ وأمسكتُها لأدفعَه عني إذا ما أرادَ شرًّا ، ولكنه ابتدرني قائلا :

هل تسمَحُ لي يا سيِّدِي بكِسْرةٍ من خبزِك ،

وكأس من مائك ، وأن أصطلِيَ على نارِك ، فقد أصبحتُ نهباً لأعداءٍ ثلاثةٍ : الجوع ، والعطش ، والبرد ؟

فقلتُ له : على الرحبِ والسَّعة ، تفضَّلْ ولَكَ ما شئتَ من طعامٍ وشرابٍ ودفءٍ .

جلسنا حولَ النارِ ، وطُفْنَا بالحديثِ على نواحٍ شتَّى ، حتى عرفتُ أن فى استطاعتِه أن يهديَنى إلى الشيءِ الذى أبحثُ عنه لوالدى ، فرجوتُ منه أن يساعِدَنى ويهدِيَنِى إلى مكانِه فقال :

نمْ ليلتَك هذه مطمئِنًّا هادِئاً ، وعند الفجرِ ستجدُنى لديكَ حاضرًا ، وحينئذٍ أرحلُ معك إلى مكانِه .

أنِسَ الثعلبُ بى وأنِسْتُ به كأننا على معرِفَةٍ

وصداقةٍ منذُ سنواتٍ مَضَتْ ، ونعم الثعلبُ بالطعام والشرابِ والدفءِ والمحادثةِ الشهية ، ثم استأْذنَ وحيًّا ، واختفى عن بصرى قبل أن يخطُوَ فى سبيلِه خطوة واجدةً ، فاضطجعتُ مكانى ، وجعلتُ أفكِّرُ فى ظهورِ الثعلبِ فجأةً ، واختفائه فجأةً ، حتى خَطِفَنى النوم ، ولم أستيقِظْ إلا قبيلَ الفجر .

وعلى ضوءِ الفجرِ الخافِت جلستُ أُفكِّرُ فى تماثيل لرجلين وجوادين كانت فى الروضةِ على مقربةٍ منى ، وخَطِفَنى من تفكيرِى فيها ظهورُ الثعلب قائلًا :

هيَّا بنا يا صديقى الحميم إلى الرحيلِ . ولما هَمَمْنَا بالرحيلِ انتفضَ الثعلبُ فإذا هو عمْلاَقٌ عَظيمٌ ، وأسرعَ يحدِّثُنى ليزيلَ المخاوِفَ عنى ، ولأَطمَئِنَّ إلى صحبتِه فقال :

هذه الروضةُ الفسيحةُ روضَتى ، ومعى زوجتى وأولادى، ولكنَّ حَظِّى أوقعنِى فى يدِ ساحِرٍ لا يرحمُ ، فَحبسَنِى فى صورةِ ثعلب ، إلى أن يرأف بى إنسانٌ ، فيجعَلَنِى أصطَلِى على نارِه ، وأطعَمُ من خبزِه ، وأشربُ من شرابه فى روضتى هذِه . وكنت أنا ياوالدى الإنسان الذى أدفأَه فى روضتِه ، وأطعمَه وسقَاه ، وأعتقَه من صورتِه السحرية ، ثم قال :

وإنى أُعاهدُك ألا أتركَك حتى أبلِّغَك ما تريدُ .

ثم قال :

ونحنُ الآنَ فى طَريقنا إلى وادى التنانين الذى فيهِ طَلِبتُك ، وهو مسكنٌ لتنانين كثيرة هائلة .

أخذنا نسرع فى السير نهارًا ، ونستريحُ ليلاً حتى كنا بعد ثلاثةِ أيامٍ أمامَ وادٍ جميل ذى أشجار ونخيلٍ ،

وقصور فخمةٍ رائعة ، وكان هذا الوادى وادى التنانين ، وهذه القصورُ الفخمة قصورُها ، فدخلنا الوادى فى الصباح ، وبينما نحن نمشى بين القصورِ وجدنا فتاةً كأنها من الحورِ العين ، قد جلستْ على كرسىٍّ ذهبى جميلٍ ، فى بهوٍ أرضُه من الرخام الأبيض ، ممتدٍّ أمامَ قصرٍ من القصورِ ، ولكننا لم نجِدْ شيئاً من التنانين . وحين رأتنا على مقربةٍ منها نهضت واقِفَةً وحيَّتْنَا تحية كريمةً ، فسألتُها :

وكيف اخترتِ أن تعيشِى وحدَك فى هذا الوادِى الذى لا أنيسَ به إلا التنانين الهائلة المخيفة ؟

فبكت وقالتْ : خطِفَنِى التنانينُ ، وجاءت بى إلى مساكِنها ، وقد لاَح لى نجم الأملِ فى خلاصى من أسرِى حين رأيتكما ، ولا يفوتُنى أن أُحذِّرَكُما

دخولَ قصرٍ من قصور التنانين فى غيبتِها ، ثم سألتنا :
وما الذى جاء بكما إلى هذا الوادِى ، فقلت :
أبحثُ عن حاجة فيه ، وأخبرتُها بها ، فقالت :

إنَّها فى قصرٍ من قصورِ التنانين اللائى يَعشْنَ فى وادٍ آخر ، غيرِ بعيدٍ من هذا الوادى ، ثمَ بيَّنتْ لى كيفَ أحصُلُ عليها ، وطلبَتْ منَّا أن نأخذَها معنَا فى أثناءِ عودتِنَا ، وما تركَتْنِى حتى أقسمتُ لها برأس أبى — وهو أعزُّ شىءٍ عندى — أننى لَنْ أرجعَ إلا بها . ثم ودَّعْنَاها وسِرْنا إلى الوادى الآخر الذى دلَّتْنا عليه . ولما بلغنَا الوادِىَ أخذتُ أُنفِّذُ ما أشارتْ بهِ علينا الفتاةُ الحسناءُ ، وحَذَّرَتْنَا مخالفتَه .

وعلى حدود الوادى نزلنا عن جوادينا ، وتركتُهما فى حراسةِ صاحبى العملاق ، ثم أخذت سبيلى فى الوادِى

راجلاً إلى حظيرةِ الجيادِ التى للتنانين ، وكانت الجيادُ كلُّهن نائمة ، فاتجهتُ إلى جواد منها ، وربَّتُّ بيدى على عنقِه وعركْتُ أُذنيهِ عركاً هيناً ، ولكزتُه لكزةً خفيفةً ، فنهض الجوادُ من فورِه واقفاً ، فأسرجتُه وألجمتُه ، وامتطيتُ ظهرَه ، وطرتُ به إلى شرفةِ القصر التى فيها الطائرِ المغرَّدُ داخل قفصِه ، والذى جئتُ فى طلبه ، فخطِفْتُه وانطلقتُ بالجوادِ مسرِعاً إلى حيث ينتظرُنى صديقى .

• • •

حَدَّقَ الملكُ ببصرِه فى الفتى مَلِيًّا ، ثم نهض قائِماً ، فاحتضَن الفتى وقال :

أَنتَ ابنى الأَصغرُ . . . أَنت حبيبُ أَبيك ، وقرَّةُ عينه ، أَنت ابنى ، وأَنا أَبوك .

خافَ الفتى على الجارية التى فى حظيرة الخنازير ، فطلبَ من أبيه الملكِ أن يأمر بإحضارها .

فقال الملكُ : لتحضر الجاريةُ فورًا ، فحضرت فى التوِّ والساعةِ ، ثم استأنف الفتى حديثه فقال :

خَطفْتُ الطائرَ وقفصَه ، وطرتُ بجوادِ التنانين المسحور إلى صديقى ، حيث ينتظرُنى على حدودِ الوادى وحين شَعَرَتْ بى الخيلُ التى فى الحظيرة ، ملأَت الجوَّ صهيلاً فى قوة ، فلم ألبثْ أن وجدتُ مئات من التنانين الهائلة تسعى من خلفِى لِتُدْرِكَنِى ، وما وصلتُ إلى صديقى حتى كانتْ قريبة منى ، فَصَرخ فيها صديقى صرخةً مدويةً ، وقال لهن :

قِفْنَ فى مكانِكُنَّ ، فجَمَدْن حيث وقَفْن ، وما تقدَّمْنَ إلى الأمام شبرًا ، وعرضَن علىَّ حينئذ المالَ

الكثيرَ والمُلْكَ العظيمَ على أن أَرُدَّ إليهِنَّ الطائرَ المغرد ، فأَبيت فى قوَّةٍ ، وقلت لهن : أَبى عندى أَغلى من الدنيا وما فيها. فتوسَّلْنَ إلىّ ، وطلبنَ منِّى جوادهُنَّ المسحورَ فرددته إليهنَّ .

امتطيْنَا جوادينا وانطلقنا إلى وادِى التنانين الأَوَّلِ ، وفيه الفتاةُ الحسناءُ التى عاهدتها على أن آخذها معى فى أَثناءِ عودتى ، وقد وجدناها تنتظرُنا على البهوِ حيثُ وجدناها أولَ مرة ، ففرِحَتْ بنا ثم وقفتْ ولوَّحَت بيدِها فى الهواءِ كأَنها تخط خطوطاً مستقيمة وملتوِيَةً ، فإذا القصرُ يتحَوَّلُ إلى تفاحةٍ صغيرةٍ ، فأَخذَتها ووضعتها فى جيبها ، وأَقبلتْ إلَينا ، فأَركبْتُها خلفِى وانطلقْنا على الجوادَيْنِ راجعين مُسْرِعين .

عرفَت التنانينُ أَن الفتاة قد أَخذنَاها ، فانطلقتْ

من ورائنا تسْعَى فى سرعةٍ هائلة . وكلما أَسرعنا السيرَ وجدناها تقترِبُ منا ، فوقفَ صديقى ولوَّحَ فى الهواءِ بيدِهِ وتمتم ببعضِ كلماتٍ ، فإذا التنانينُ تتحوَّل إلى صخورٍ جامدة ، ثم لوى كلٌّ منا عِنَان جوادِه ، وانفلتْنا فى اطمئنانٍ وهدوءٍ ، حتى دخلنا روضةَ صديقى ،وجلسنا حيثُ ابتدأَ تعارُفُنا ، وربطت الصداقةُ بَينى وبينه . وفيها أَسبغَ علينا كرمَه ونعمتَه ، وأَقسم علىَّ ألا أَبرحَها حتى يجيبنى إلى مطلبٍ عزيز أُريدُه .

وبينما أَنا أُفكر فيما أَطلبُه إذ وقع بصرىَ على تماثيلَ منصوبة لرجلين وجوادين فى مكان قريب منّى ، فقلت له على الفور :

أحب أَن أَعرف كلَّ شىءٍ عن هذه التماثيل الصخرية المنصوبةِ ، فبدا عليه الامتعاضُ والقلَقُ ، ثم أَقبل

إلىَّ فى استعطافٍ وقال :

أرجو أن تطلبَ شيئاً غيرَ هذا ، فدفعنى امتعاضُه وكراهيتُه لما طلبت إلى أن أستمسِكَ به وأُصرَّ عليه ،

فقال : ما كانَ لكَ أن تستمْسِكَ بشىءٍ يضرُّك ، وما كان لى أن أُبيِّنَ لك شيئاً عاقِبَتُكَ فيه ندمٌ وحسرةٌ.

فقلت : لِيَكُنْ ما يكون ، فليسَ لى مطلبٌ إلا هذا ، فقال والأسفُ فى عينيه :

هذان الرجلان أخواك ، وهذان جواداهما ،

فاندهشت وقلت :

وكيف تحوَّلا إلى تمثالَين من صخر ؟

قال الصديقُ : لم يُكْرمانى حين قَدِما روضتى كما أكرمْتنى ، فقد جئتهما فى صورة الثعلبِ السحرية

ورجوت منهما دفئًا وأكلا وشربًا كما رجوتُ منك ، فكانت إجابتُهما أن ضربانى بالعصا وطردانى ، فكان جزاؤُهما منِّى أن حبستُهما فى تلكَ التماثيلِ الصخرية. وعندئذ يا والدى قَوِى فى نِفسى ، استمسَاكى بمطلبى ، وقلتُ له :

الآنَ لَزِمَتْك إجابتى إلى مطلبى ، فأَكرِمْنِى فى أَخَوىَّ ، وأَعتِقْهُما من سحرِهما ، وأَعدْهُما إلى صورتهِما الأُولى .

قال : وقبل أن أُجيبَك إلى مطلبِكَ ، أَرجو أن تأْخذَ منهما حِذْرَك ، ثم أَشارَ إلى التماثيل بيدِه ، وتمتم ببعضِ كلماتٍ ، فإذا بهما يخرجَان من سحرِهما ، ويعود كلٌّ منهما بشرًا سويًّا ، فقمتُ إليهما ، وعانقتُهما ، وكانت فرحتُنا عظيمةً ، ثم عرفتهما أنى أحضرتُ

الطائر المغردَ ، وأنى لا أزالُ فى طريقى به لأبى . وحمِدتُ اللهَ كثيرًا إذ جمعنى بكُما ؛ حتى تكونَ فرحةُ أبى كاملةً ، لا يشوبها نقصٌ ولا كدرٌ. ثم ركبنا الجيادَ ، وأردفتُ الفتاةَ الحسناءَ خلفِى ، واتخذنَا السبيلَ إلى مدينة أبى .

استشاطَ أخواى غَيْرةً منى وغيظاً ، فائتمرا بى ليقتلانى ونحن فى الطريق إليك ، واعترضَ سبيلنَا غديرٌ صفا ماؤه وعَذُبَ ، وعلى شاطئِه شجرةٌ كبيرةٌ وارفةُ الظلال ، فقال أخى الأكبر :

يحسنُ بنا أن نطفئَ عَطشَنا ، ونشربَ من هذا الغدير ، فماوه صافٍ عذب ، ونستجمَّ فى ظل هذه الشجرة ، ثم نستأنف المسيرَ حتى ندخلَ المدينة .

• • •

ملنا إلى الغديرِ ونزلنا فى ظلِّ الشجرةِ ، وتقدم أخى الأكبر إلى شاطئ الغدير فامتد على بطنهِ ، وأدْلى فى الغدير رأسَه ثم شربَ ونهضَ ، وكذلك فعل أخى الأوسطُ من بعده ، وتقدمتُ أنا لأشربَ كما شربا ، وبينما أتجرَّعُ الماءَ إذ هوى أخواى بسيفيهما فقطعا ساقىَّ : ثم حملاَ الطائر المغرد والفتاة الحسناءَ ، وانفلتا على جواديهما فى سرعةِ الريح إلى المدينةِ ، أما أنا فقد انقلبتُ إلى ظل الشجرة فى ألمٍ وبكاءٍ ، وجوادى بجوارى يبكِى فى نهنهة وتحمجم ، واحتفظتُ بساقىَّ المقطوعتين ، إلى أن يقضىَ اللهُ فى أمرى بما يريد .

وفى صبيحة اليوم الثانى لمحت رجلاً أعمى يتلمَّس الطريقَ ولا يجدُه ، فأشفقتُ عليه وناديتُهُ ، فجاءنى مهتدِياً بصوتى ، ولما جَلسَ إلىَّ قصَّ قصتهَ فقال :

أنا أحملك فوق كتفى ، وأنت تهدينى إلى الطريق

خدعنِى إخوتى ، وجاءُوا بى إلى هذا العراءِ ، وفقأُوا عينِى ؛ لينهبوا نصيبى من ميراثِ أَبى ، ثم تركونِى فى هذا العراءِ ورجعوا . ثم قصصتُ عليه قِصَّتى ، وعرف أَن ساقىَّ مقطوعتان ، فقال : الحمد لله الذى قَدَّر ولَطَف ، أَنا أَحملك فوق كتفِى ، وأَنتَ تهدينى إلى الطريق ، وإنى أَعرفُ هنا مكاناً لعقربٍ كبيرةٍ ، ذاتِ رءُوس أَربعةٍ ، ودمها شفاءٌ من كل داءٍ وعلة ، فإذا أَلقيتَ ببصرِك نحو المشرقِ وجدت ربوةً عاليةً ، وفى سفحِها شجرةٌ ذاتُ غصنين اثنين ممدودينِ فى الهواءِ ولا ثالث لهما ، فمددت بصرِى نحو المشرِق وقلت له : وجدتهما وهما على مقرَبةٍ من مكاننا هذا .

فقالَ : هيَّا بِنَا لنخْرُجَ من نكبتنا بدم العقرب. حملنى الأَعمى ، وجعلت أهديه حتى كنَّا عند

الشجرة ، فقال : انظر فإن وكرَها بجوارِ جذعِ الشجرة ، فنظرتُ وقلت : ها هوذا وكرها على مرأى من بصرِى .

فقال : اختبِئْ فى جذعِ الشجرةِ ، حتى لا تراك وهى قادِمَةٌ ، فإذا ما دنَتْ من وَكرها فَقطِّعْها بعصاكَ الغليظةِ ، وحينئذٍ نأْخذُ من دمِها ، ونبرأُ من عِلَّتِنا بإذن الله .

ارتقبتُ العقرب وهى قادمةٌ إلى وكرها ،فلما دنت منه قطعتُها بعصاى ، وانهمر دمُها من جسمِها فغرفت بيدِى ووضعت على مكانِ البترِ من أَرجلى ، ثم ألصقت ساقَّ فعادتا كما كانتا ، وقمت إلى العقرب ماشياً فأَخذْتُ من دمِها ،ووضعت منه فى عينى الرجل الأَعمى فارتدَّ بصيراً ، ففرحْنا وحَمِدْنا الله الذى أَذهَبَ عنا

الحَزَنَ وشَفَانا . ثم سِرْنَا حتى دخلنا المدينة .

لم أَشأْ أَن أَرجعَ على الفورِ إلى قصرِ أَبى ، وأَقصَّ عليه قِصَّتِى ، وآثرت أَن أَتَّخِذَ الله وكيلى ليدافِعَ عنى وينصفنى من الخونَة الظالمين . فاشتغلت راعياً عند أَحد الأَغنياءِ ، حتى قُدِّر لى أَن أَدخَل المعبدَ ذاتَ يومٍ ، وكان ما كان مما تعرِفُه حتى جئتُ بينَ يَدَيْك .

• • •

التفت الملِكُ إلى الجاريةِ وقال :

إلى هنا انتهى الأَمير من قصَّتِه ، وما بقى إلا أَن تقُصِّى علينا ما وقع لك .

قالت الجارية :

قطع هذان الأَخوان ساقى أَخيهما الذى فك رقبتهما من سحرهما ، وأَعادَ إليهما حياتهما ، ففزعتُ من هذهِ

الوحشيةِ القاسِيَةِ ، ثم اقتسمَا فى الطريق ما نهباه من أخيهما غدرًا وظلماً ، فكان الطائرُ المغردُ من نصيبِ الأَخِ الأَكبر ، وكنتُ من نصيبِ الأَخِ الأَوسط . فأَخذنى عندَه ، وسقانى المرَّ من ظلمِه ، فكنت كلما بكيْتُ أَخاه الأَصغرَ الذى أَنقذنى كما أَنقذَه ، انهال علَىَّ ضرباً موجعاً ، ثم حاوَل أَن يتزوَّجنى ، فأَبيتُ إباءً لا أَرْجعُ عنه ، وإن فقدتُ حياتى ، فعاقبَنى بأَن جعلنى أَعيشُ مع الحيوانات أَخدُمها وأَرعاها ، فحمدت الله ورضيتُ ، وقلت فى نفسى :لأَنْ أَعيش مع الحيوانات خير لى من أَن أَعيشَ مع رجلٍ يخون أَخاه ، الذى أَعادَ إليه الحياة ، فيقطع ساقيه ليقتله . وكان بعد ذلك ما يعرفه مولاى .

فقال : أَعندكِ حُجَّةٌ تثبتين بها صدقَكِ فيما قصصتِ .

فأَخرجَتْ من جيبها تفاحةً وقالت : هذه حُجَّتى.

قال الملك :

وكيف تثبت هذه التفاحةُ صدقَك ؟

قالت : لو كان يعرفها كما يعرفُها أَخوه الأَصغرُ ما تركها فى يدِى ، ولأَخذها منى عَنْوَةً ، وليتفضَّل مولاىَ إلى الفضاءِ الفسيح أَمامَ القصرِ لأُريَه قيمة هذه التفاحة .

خرجَ الملِكُ ومجلسُه إلى الفضاءِ ومعه الجارية فَلوَّحَتْ بيدِها فى الهواءِ وتمتمت ببضع كلماتٍ ، ثم أَلقت بالتفاحةِ فى الفضاءِ فإِذا هى تنقلب إلى قصرٍ عُظيم لم يرَ الملِكُ له مثيلاً .

فأيقن بصدقِها ، وعهِدَ بالمُلْكِ إلى ابنهِ الأَصغرِ ، وأقامَ الأَفراحَ وزفها إليهِ . وعاشا سعيدين . أما أخواه الأَكبرُ والأَوسَطُ فقد لَبِثَا فى ذُلِّ الغدرِ ومسكنتِه حتى ماتا غيرَ مأْسوفٍ عليهما .

فرغ الوالد من حكاية « الطائر المغرد » ، فسر الأولاد وفرحوا ، ثم قال الوالد : موعدنا الليلة التالية، حيث أحكى لكم حكاية أخرى من « حكايات الليالى » . . . طاب مساؤكم يا أبنائى ، وتصبحون على خير . . .

الوَحْشان

وكانت الليلة التالية ، فجلس الأولاد ملتفين حول أبيهم مسرورين ، واستمعوا إلى ما يقصه عليهم أبوهم من حكايات الليالى .

وكانت حكاية الليلة حكاية « الوحشان » :

هذه جَزيرةٌ صغيرةٌ قائِمة فى وَسط المُحيط ، وفى مَعزِلٍ بَعيدٍ عَن المعمور من أَرض وجزر ، وهِىَ جَيدةُ التربةِ مَوفُورةُ المياه ، يقومُ أَهلها بالحَرثِ والزّرع وتُغِلّ عليهم بالثراءِ الواسع والخيرِ الكثير .

وما كان أَهلُها يَـأْلمون من شىءٍ فيها ، ولا يُقلق هدوءَهم واطمئنانَهم إِلَّا مَلِكُ الجزيرة ، فَقد كَان إِنسانًا كأَنّه قد خُلقَ من غير قَلب ، أَو له قَلبٌ

ولكنّه قُدَّ من الصَّخر ، فما كانَ للرحْمةِ مَجرًى فى دَمه، ولا لِلعدلِ مَسْرًى فى نفسِه . ومِثلُ هذا الملِك يكونُ حَريصاً على سُلطانِه ومُلكِه ، حِرصَه على نَفسِه ، ويَخشَى أَن يَنهارَ عَرشُهُ مِن تَحتهِ ؛ لأَنَّه قائمٌ علَى الاسْتبدَادِ والقَسوة ، والظّلمِ والغِلظَة .

والمُلكُ الدائمُ الثابت لا يَقومُ إلاعلَى أُسس مَتينة مِن العَدلِ والرحمة ، ولهذا حرَّمَ الملكُ علىأَهل مدينتَه أَن تتألَّفَ لهم جُموع ، أَو تَتلاقَى لهم وفودٌ وجَماعات ، أَو يُحرزَ أَحدٌ مِنهم سلاحًا ، أَو يَخوضُوا بالقولِ فى شأْن مِن شئون المُلكِ ، وسياسةِ المَلِك .

ومع هذا فإِن شبحَ الخَوف من ضِياع مُلكهِ وسُقوطِ عرْشهِ ، وسُوءِ مُنقَلَبه، لا يَزالُ ماثِلا فى نفسِه ، مُسَيطرًا علىخَياله، حتى ليكاد يراه رَأْىَ العَيْن ، ولَقَد غَرّتْهُ قوتُه

المستمدةُ من جُندِه وأَعوانِه ، وتفككُ الأَوصال فى أَهلِ مدينتِه ، وانقطاعُ الأَسباب بين جماعاتِهم .

رأَى ذلك الملكُ فى منامِه ذات ليلة أَن طائرًا أَحمر ، ذَا رأْس كبير أَسود ، قد انقضّ على رأْسِه ، ونَقرهُ فِيه نَقرة غُشِى عليه مِنها ، ثم استيقَظَ فَزِعًا ، ولبِثَ بقيةَ ليلتِه لا يَذوقُ النوم ، ولا يَستقرّ به مَضْجع ، من سُوءِ ما ترَكتْ فِى نفسِه تلكَ الرؤْيا مِن الفَزعِ والخَوف .

ولما جاءَ الصباحُ أَحضر الملكُ أَمهر المنجمين والمفسّرين للأَحْلامِ منِ أَهل مدينتِه ، وقَص عَليهم رُؤْياه ، وأَمَرهم أَلَّا يخفوا عليهِ شيئًا مِن تَأْويلها وتَفسيرها .

فلما قَصّها عليْهم ، عرفَ كبيرُهم فى الحال

تأْويلها ، ولكِنه كظمَه فى نفسِه وقال :

إنْ أَمهلَنا مولانا الملكُ لَيلتَين أَوثلاثًا ، لننظرَ فى النجوم ، ونستعرض فى الرؤْيا الوجُوه ، ونَستلْهم العِلم والخِبرة ، سَلِمَ تأْويلُنا ، وصَحّ تفسِيرُنا .

قال الملك : أَمهلتكُم ثلاث ليالٍ ، لا امتداد لها ، ولا أَجل لكم بعدَها . وإن لم تأْتونى بتفسِيرها فى موعِدِكم هذا قطعتُ رءُوسَكم ، وصلبتُ أَجْسادكم ، لتكونوا عبرةً لغيركم .

قال كبيرُهم : سنأْتى مولانا فى مَوعِدِنا هذا ، بما يَهدينا إليه بحثُنا وعلمُنا وخِبرَتُنا ؛ ثم أَمرهم أَن يذهبوا إلى شَأْنِهم، على أَن يُوافُوه فى المَوْعدِ المضْروبِ بتأْويل رُؤْياه .

انصرفَ المنجمون والمفسّرون ، فذهب بهم

كبيرُهم إِلَى دارِه ، وهُناك جمَعهم فى جَلسةٍ سرية وقال لهم :

هذه الرؤْيا نَذيرٌ بموتِ الملكِ وانتِهاءِ عَهدِه الأَسود ، وحُكمِه الظالم ، وإِنا لنخشَى على أَنفسِنا مِن سَيفه إِذا نحنُ صارَحناه ، وصَدقْنا مُخلِصين فى تَأْويل رؤْياه ، وقَد طلبتُ مِنْهُ أَن يُمهلنا ثلاث ليال لأَتمكن من الاجتماع بكمُ ، وتدبيرِ أَمر ينجِّينا من يَدِه ، فإِنه غشومٌ ظالم ، لا أَمانَ له ولا وفاءَ ، فماذا تَرون ؟

قال أَحدهم : لا نخلص له فى تَفسيرِ حُلمِه ، ونَقول له : حمرةُ الطير دليلٌ علَى الحياةِ القَويَّةِ ، التى كلها صحة وعافِية ، ونقرُ الطائرِ رأْسَه دليلٌ على أَن تلكَ الحياة القويَّةَ مَبْعثُهَا الاستمتاعُ بالطعامِ والشراب ،

ثم نعيشُ بهذا التأْويل فى أَمن من ظُلمِه ، فإِذا دهمه الموت الذى تُنذِرُ به رؤْياه فلنْ يُصِيبَنا شرٌّ من بعدِه لأَن أَهلَ المدينَةِ أَجْمعين يتَمنّونَ موتَه ، وسيحمدونَ لنا ذلكَ التَّضْليل الذى أَبعدَه عن أَن يأْخذَ حِذرَه ، وأَلهاه عن الاستعداد لما يجيءُ به غَدهُ ، من مصائب الزمانِ ومحَنِه .

قال كبيرِهم :

ذلك قولٌ سليمٌ لَو دعيتَ أَنت إِلى التأْويل وحْدَك ، ولم يَطَّلعْ أَحدٌ على سِرِّك . ولكنَّنَا كما تَرى جَماعة ، والسرُّ بينَ الجماعة فاقدٌ صوْنَه ، ينِمُّ عنهُ حجابُه .

قال أَحدهم :

وما عَلَيْنا إذا نحنُ صارحْناه . وصدقْناه تأْويلَ رُؤْياه ؟

قال كبيرُهم : سيَدْفعُه الحرصُ على نفْسِه ومُلكِه إلى أَن يقْتلَنا شر قِتْلة ، لأَننا فى رأْيهِ قَدْ عرفْنا السَّبيل إلى مَوتهِ ، فَهو يَخْشَى أَن يكونَ لنا يدٌ فى تدبيره ، ونحنُ إذ ذاك بادرة الخطرِ عندَه ، ومن الهيِّنِ عليهِ أَن يَمحوَ بقتْلِنا تِلكَ البادِرة .

قال أَحدُهم : وماذا تَرى أَيها الكبيرُ المجرّبُ الملْهَم ؟

قال : أَرَى أَن نحمِيَ الموجودَ من أَهلِ مدينتِه الان ، ونَعصِم دماءَهم من سَيفه ، ونقولَ له :

سيولد فى مدينةِ مولانا الملك غُلامٌ لمَّتُه كثيفةٌ

سَوداءُ ، وتحتَ ثديهِ اليسرَى شامةٌ صغيرةٌ حمراءُ . يكونُ بادرةَ خَطر على مُلْكِ مولانا ، ومبعثَ متاعبَ لا علمَ لَنا بمدَاها ، إذا أَخلى مولانا الملكُ سَبيله ، هَزّ العرشَ بيمينِه ، وأَطاح الرءُوس بسَيفِهِ ، فإذا وقع فى يد مَولانا وهو فى مَهدِه فإن عِلْمنا يُوصّى بوضْعه فى صُندوق مقفل ، وإلقائِه فى اليَمّ ، وبذلكَ يكونُ مولانا فى مأْمن مِن خَطره ومتاعبه ، واستمرّ كبيرُهم يقول :

وبذلك نكونُ قد صَدَقناه فى تأْويل رؤْياه ، وحَمينَا أَهلَ المدينةِ وأَنفُسنا من شَرّهِ وأَذَاه ، وتركْناه يبحثُ عن هذا الطفل فى المواليدِ الجديدَة . فإن عثر به فَقدْ خَطفْناه مِن يدَيه ، ووضَعناه فى الصندوق المحكم ،

وأَلقَيناهُ فى اليَمِّ إلى مَن خَلقَه ، ليكفُلَه أو يقضِى فِيه أَمرَه ، فاستَبشرُوا جَميعُهم ، ورَضُوا لأَنفسِهم هذا الرأْىَ الرشيد ، والمَخرجَ السّديد .

وفى الموعدِ المضروب كانَ المنجمون والمفسرون فى حَضرةِ الملِكِ .

قال الملك :

لَعلكُم اهتديتُم إلى تفسير تِلك الرؤْيا التى أَزعجتنا ، وباعَدتْ بَيْننا وبين هُدوءِ أَنفسِنا .

قال كبِيرهم : وكيفَ لا نَهتدِى ونحنُ نَسيرُ فى أَعمالِنا على نُور من إخْلاصنا لمولانا ؟ !

قال الملك : وماذا وجدْتُم ؟

قال كبيرهم : وجَدنا تـأْويلا لا رَيبَ فيه .

قال الملك : وما هو ؟

قال : إن لمولانا الملك منزلةً سامية فى نفوسِنا ، وقد امتزَجتْ بدِمائِنا محبتُه ، ونبضَتْ قلوبُنا بالولاءِ لَه وطاعتهِ ، وذلكَ ما حَبَّبَ إلينا أَن نقطعَ الليلَ كُلَّه تحتَ النجوم ، نتبادلُ النظَرَ ونتجاوبُ الهَمس ، وأَن نَقضِى شطرًا منهُ فى نَبشِ علومنا وتجاربنا ، حتّى هُدِينا إِلَى تأْويلٍ سليمٍ خَلُصَ جَوهرُهُ من شوائبِ الظن والشَّك ، وهُو ما أَسرده الآن علَى مَسْمَعَى مولانا الملك :

سيولدُ فى مدينة مولانا الملِك غُلامٌ لِمّتُه كَثيفة سَوْداءُ ، وتحت ثَديهِ اليُسرَى شامةٌ صَغيرةٌ حَمراءُ ، يكونُ بادرةَ خطر علَى مُلك مولانا ، ومَبعث متاعِبَ

لا عِلمَ لَنا بِمَداها ، إذا أَخْلَى الملكُ سَبِيلَه ، وتَركه حتّى يَبْلغَ مَبلغَ الرجُولَة ، هَزَّ العرشَ بِيمينِه ، وأَطَاحَ الرءُوس بسَيفِه ، فإذا وقَع فى يدِ مولانا وهو فى مَهدِه فإن عِلْمَنا يُوصِّى بِوَضْعِه فى صُندوق مُقفَل وإلقائِه فى اليَمّ ، وبذلك يكونُ مَولانا فى مأْمَنٍ مِنْ خَطرِه ومَتاعِبه ، ويَبقَى عَرشُه ثابِتاً قوِيًّا .

ذلك هوالتأْويل يا مولانا وتلكَ هى الوصِيّة ، حَفِظ اللهُ مُلكَك ، ونَصرك على عَدُوِّك ،

قال الملك :

قد فَهمنا ، وعلينا من هذا الحين أَن نُفتِّش المواليدِ ، ونَفحص كلَّ مولود ، حتّى يَقع فى أَيدينا ذلكَ الغُلامُ الخطيرُ المتعِب ، لنُلقيه فى اليمِّ إلى حيثُ لا رجْعة له .

ثم أمرهُم أَنْ ينصرِفُوا ، فخرجُوا من عندِه شاكرِين لكَبيرهم نجاتهم ونجاةَ أَهل المدِينةِ الأَبرِياءِ مِن يَدِ الملكِ الأَثيمة الظالمة .

أَما الملكُ فإِنه اجتَمع بوزرائه ، وكانوا علَى دأَبِ مَليكهم فى الغِلْظة ، ومُجانَبةِ العدْلِ والرحْمة ، وشهدوا المفَسرين وهم يَذكرون التأْويل والوصية ، فقال لهم :

لقَد علمتُم من أَمرِ رُؤْياى وتأْويلها ما علمتُم ، وأُريدُ أَن يُفحَصَ كل مولودٍ يُولدُ فى مَدينتى ، حتى نعثُر على ذلكَ الغلامِ الذى أَقضّ مضاجِعَنا ، وبَلبلَ خواطِرنا ، لنُلقيَهُ فى اليمِّ ونستَرِيحَ من شرِّه .

قال كبير الوزراءِ ، وكان رجلا مُعمرًا عالجَ من شئون

الحياة ومشاكِلها ما جَعله بعيد النظر ، بارعَ الحيلة ، غير مسبوقٍ فى المكر والخديعة :

يُصْدِرُ الملكُ أمرًا يقول فيه :

لقد تَنَبّأَ المنجمون بأَن المدينةَ مقبلةٌ على عهدٍ سعِيدٍ ينْعَمُ فيهِ أَهلها بالثراء الواسِع والنّعيمِ الدائِم . وذلكَ على يدَىْ غلامٍ سيولدُ ، ويكونُ ذا لمّة كثيفة سَوداءَ ، وشامة صغيرةٍ حَمراء تحتَ ثديه اليُسرى ، فَمن يولد له هذا الغلامُ فليُخبِرْنا بمولدِه ، وليسْعَ إلَيْنا به لنَمنَح والدَيْه جائزةً سَنية ، ونمدهما بالمالِ الكثيرِ حتّى يقومَا بِتربيتِه تربيةً كامِلة ، فى رخاءٍ من العَيش ، وسَعةٍ مِن المال ، وعِزةٍ فى المنشأ ، وحَتّى يخْطُوَ فى حياتِه خطَواتٍ سريعةً لنعجل إلى

المدينة بالخير الذِى سَيأْتِيها على يَدَيه.

ثم استَمر كبيرُ الوزراءِ يقول :

وبهذا الأَمر يا مولاى لا نخْشَى أَنْ يُكتَم مَولدُه ، فكلّ أُم وكلُّ أَب يَتمنّيانِ أَن يكونَ لهما هذا الغلامُ الميْمون ، وسيسْعيانِ بِه إِليكَ سعْيًا ونحنُ هاجعُون ، فإِذا ما وقع فى أَيدينا فأَمرُه يومئذ لمولانا الملك .

قال الوزراءُ :

تلكَ أَبرع خَديعة لا عُقْم فِيها ، وكثيرًا ما وَجدْنا فى جُعبتِك المخْرجَ الذِى لا نجدُه عِند أَحد غيرِك .

أَمرَ الملِكُ فى الحال فكُتِبَ الأَمرُ وخَتَمَه بخاتمه ، وأَمَر بنَشره وإِذاعتِه فى المَدِينَةِ ، وتَتَبَّعُوا صداه وأَثَرَه فى

البيوتِ والمجالِس والأَسواق ، وعِندِ الآباءِ والأُمَّهات ، فوجدوا كلَّ فَردٍ فى المدينَةِ يتمنَّى أَن يكون له ذلك الغُلامُ الميْمون، الذِى سَيسْعدُ به والداهُ وأَهلُ المدينَة، فاطمأَنَّ الملكُ ووزراؤُه ، وارتَقبُوا ذلكَ اليومَ الذى يأْتيهم فيه هذا الغلامُ على يَدَى والدَيْه ، دونَ تعَب ولا مشقة.

كان فى المدينةِ رجلٌ فقير ، يعيشُ هو وزوجتُه فى دارٍ صَغيرة ، يبدُو عَليها آثارُ الفاقة ، وكان هذا الرجلُ يأْتيه الكفافُ من الرزقِ له ولزوجتهِ من مَتجَر صَغير غَير نافق ، وشاءَ القدرُ أَن يولدَ لهما هذا الغُلامُ ، ذو اللِّمةِ الكثيفَةِ السوداءِ ، والشامةِ الصغيرةِ الحمراءِ ، تحت ثديه اليُسْرى . وحينَ وجدا فيه

هاتين العلامتَيْن فرحا به ، ولكن فَرحَ الأُمِّ يشوبُه شيءٌ من القَلَق ، وسَمّياه بشيرا .

قال أَبوه :

دَعيني أَذهَبْ به إلى الملك ، لنحظَى بالجائزة السّنية ، ونملأَ عشَّنا هَذَا بالمالِ ، والغِنَى .

فشَخصتْ إليه زوجتُه طويلا ثم قالت :

لا أُحسُّ من نفسِى راحةً ورغبةً فى أَن نخبِرَ الملكَ بمولده ، أَو نَسعى إليه بِه .

قال الرجل :

لا تطاوِعِى هواجسَ نفسِك ، فالأَمرُ جلِىٌّ واضِح ، وما دامَ الخيرُ يَسْعى إلينا فمِن البلَه أَن نَفِر من أَمامِه وأَن نُقيم السّدودَ فى طريقه بيننَا وبَيْنَه .

ثم حملَه أبوه إلى قَصرِ الملِكِ ، والأَملُ فى الجائزة السنيةِ والمالِ الكثير يملأُ صدرَه .وحينَ وضعه بين يَدَى الملك ووزرائِه أَشرقتْ وجوهُهم فرحًا ، وكان كبيرُ الوزراءِ أَكثرهم فرحًا ، إذْ صَدقَتْ خديعَتُه وأَثمرتْ حيلته ، وما فاته أَن يستمِرّ فى خداعِه، فقال :

يحسنُ يا مولاى أَن يبقى هذا الغلامُ فى قَصرك يتربّى فيه وينشأُ نشأَةَ الأُمراءِ . فذلكَ أَقلُّ واجبٍ نقدمه لغُلامٍ ستكونُ حياتُهِ للمدينةِ نعمةً ورحْمة .

أَما أَبواه فَلهما عندَ الملكِ أَن يغمرَهما بإِحْسانِه، لأَنَّهما أَنْجبَا هذا الغلامُ الميْمون .

أَمر الملك أَن يَبْقَى الغلَامُ فى قصرِه ، ومنَحَ أَباهُ منحةً ماليةً تملأُ نفسَه غِبطة .

أخذ الرجلُ المِنْحَة ، وترك ابْنَه بشيرًا فى قصر الملِك ، ورجع إلى بيته ، وقَصّ علَى زوجتِه ما حَصل .

قالت زوجته :

أما أشرتُ عليك أن نكتُمَ أمرَه ، ولا نَسعى به إلى هذا الملك ؟ إننى أُحسُّ قَلقًا علَى ابْنى ، وبى خوفٍ عليه من هذا الملك الذِى لا تعرفُ الرحمة إلَى قلبِه سَبِيلا ، ولو كان الأَمرُ بيدِى ما تركتُه عندَ الملِكِ طرفةَ عين ، ولكنَّنِى لا أَملكُ يا ولَدى مِن أَمرك شيئًا ، وقد استودعتُك ربِّى ، فهو القادرُ علَى أن يحفَظكَ ويرعاك . ثم أَجْهشَتْ بالبكاء وقالت :

لقَد رزقتنا به يا رب ، فاحفَظْهُ من شَرّ هذا الملك الظَّالِمِ ، وأَرْجعْه إِلَيْنَا سَالمًا .

قال أَبوه : أَلم تَرَىْ هذا المالَ الذى منَحنا

الملكُ إياه ؟ إن مِثلك لا ينبَغى أَنْ يحزَن ، فإن ابنَكِ سيربيهِ الملك فى قصره تربية الأُمراء ، حيثُ الخدمُ والحشمُ ، والفرشُ الوثير ، والخيرُ الكثير ، وغداً سَتسْعدِين به ، وتكونين سيدَةَ النساءِ بفضْلِه .

قالت : كأَن ما تحكِيه الآن فى نفسِى حَقٌّ يرادُ به باطِل ، ولستُ مطمئنّةً على ابْنى ، ولهذا فإنِّى أَضرعُ إلى ربى الذى خلَقَه ، أَن يحفَظَه من كلِّ شرٍّ يراد به ، أَو مكيدةٍ تدبَّرُ له .

قال الأَب :

أَنت أَكثَر منى تأَثُّرًا بأَحاسيس النَّفْسِ ، وأَحاديث القلب ، فقَد أَحسَسْتُ من نفسِى ما تُحسّينَه الآن من الخوف على ولدِى ، ولكنّى أَغفَلتُه وأَغضيْتُ عَنه ، وهَبينِى عَصيت أَمر الملك

وتشبّثْتُ بـابْنِى ، وامتنعْتُ عن تركِه فى القصر مُتَحدّيًا بذلك رغبةَ الملك فماذا كنتِ تتوقعين ؟

قالت: كان قد قَتَلك وابنَك وخَسِرتُكما وفجعتُ بموتِكما ، وحسَنًا فعَلت، واللهُ القَوىُّ القادرُ يرْجعُ ابْنَنَا إلَيْنا ، ويرُدّ كيْدَ المَلِك وظُلْمَهُ عنَّا .

أما الملك فإنه أَمرَ كاتِمَ أَسْرارِه أَن يضَعَ الغلامَ فِى صُندوقٍ ويُحكمَ إغْلاقَهُ ، ثُم يُلْقيَهُ فى اليَمِّ خِفْيةً ، دُونَ أَنْ يَشعُر به أَحد، فَصدعَ بـأَمر مَلِيكِه .

وفى جَوف اللَّيل خلَصَ بالصّندوق من القَصْرِ خِفية ، وأَخذَ يَمشِى فى طريقِ السرِّ الذى بينَ المُحيط والقَصر ، حتى كانَ على شاطِئِ المُحيط . وهناكَ أَلقاه فى اليمّ ، وكأَنَّما كان اليمُّ يترقَّبهُ وينتظِرُه ، فاستكانَ وهدأَ ، وتلقاه على صدر ليّن

ساكن ، كأنه صَفحةُ المرآة ، وأشفقت الريح علَى هذا الغُلام البَرِىء فدفعتْهُ بيديْن رفيقتين إلَى أعْماقِ اليم حتى اختفَى عن ناظِرَى كاتِمِ السّر ، وأيقنَ أنَّه لا رجْعَةَ له .

ثم مالتْ به الريحُ متجِهةً إلى الشاطئ فى مكانٍ بعيد ، وهناكَ علِق بشبكةِ صياد منْ أهل تلك المَدِينة ، فلما ألْفاه فِى شَبكتِه ظنَّ أن فِيه كنزا فأسرع إليه وفتحه ، واندهش حين وقعَ نظرُه فِيه على غلام قد اسْتلقى على ظهرِهِ ، وهو ينظرُ إلى الصياد بعينيْن تشعانِ اسْترحامًا واسْتِغاثة ، وقد عَلَتْ شفَتَيْه ابتِسامةٌ تبعثُ فى النَّفسِ اليُمنَ والغِبطة فأسْرعتْ يداه إلى التقاطِه مَدْفُوعتيْن بعامليْن قويين :

الإشفاقُ عليْه ، والخيرُ الكثيرُ الذِى يُبشّرُ بِه هذا الثغرُ الضاحِك .

ثم أَلْقى بالصّندوق فى اليم ، فساقته الريحُ فى الحال إلى أَعماقِه ، حتَّى لا يكون له ذكر ولا أَثَر عندَ أَحد من أَهلِ المدينة ، ثم حَمل الغلامَ ورجَع به إلَى دَارِه ، وهُناكَ تلقَّتْه زوجتُه علَى عادتِها ، وكانت دهشتها حينَ وجدَت مَع الصّيد ذلكَ الغلامَ الذِى ابتَدرها بنظرتِه وابتسامتِه ، كما ابتدَر زوجَها بِهما حين وَجَدَه ، وكانتْ أَسْرع من زَوجِها إلى التقاطِه ، فحملتْه وضمتْه إلى صدرها وجَعلتْ تقبّله ثم قالت :

مِن أَينَ لكَ هذا الغلام الذى لوجْهه طلعةُ البدْر ؟ وما حكايتُه ؟

قال : أَلقيتُ بشبكتى فى اليمِّ كعادتى ، ولما أَخرجتُها أَلفَيتُ فيها صُندوقًا مُقفلا ، فظننتُ أَن فِيه كنزًا ، ولما فتحتُه وجدتُ هذا الغُلامَ قد اضطجَع فيه ، وابتدرنى بنَظرةٍ تكادُ تنطقُ مستغيثةً مسترحمة ، وابتسامة حلوة تملأُ النفس غبطة ، فحملتُه وأَسْرعتُ به إِلَيْكِ ، بعد أَن أَلقيتُ الصندوق فى اليم ، ولقد عجبتُ حين أَلفَيتُ الريحَ قد اختطفَتْه فى الحال ، وساقتْه إِلى أَعماقِ اليم حتى اختَفى عن بَصرِى ، فحدّثتنى نفسِى فى الحال أَن القدرَ يُريدُ كِتْمان أَمر هذا الغُلام ، والقيام على تربيته حتى يشتد ساعِداه ، ويتمَرَّسَ على شئونِ الحَياة ، وقد اختارَنا القدرُ لهذا الغلامِ البَرىءِ لنَغسِل عنْه ظلْمَ الإِنسان ، ونُنَشِّئَه فى ظلال وارفةٍ من رحْمةِ الإِنسان .

قالت : ذلكَ ما أَصْررت عَليه حين ضممْتهُ إلى صَدرِى ، وكنتُ عازمةً علَى أن أستأْذِنَك فيه ، وما دامتْ هذه رَغبتُك فماعَلَيَّ إلَّا أنْ أُطيعَ داعِيَ قلبى وأُطِيعَك . فاخترْ لهُ ما تشاءُ مِن الأَسماءِ فقدْ تبنَّيناه ، ولعلّ القدرَ قد اختارنا له ليُعوضَ ما فاتنا بسَبَبِ هذا العُقْم الذِى لبثنا فِيه إلى هذا الحِين .

قال : نُسَميه مبروكًا .

قالت : وسيكون لنا مَبعث خير وبركة . ومشرق غبطةٍ وهناءَة .

أَخذ مبروك ينمو ويترعرعُ على مهادٍ وثيرَة من حَنان ومَحَبةٍ وحُسْنِ رعايةٍ وكفالةٍ لأَبَوينِ كريمين ، وشَبّ مبروك فارعاً قوِى الجسْم مَفتول العضَل

شديدَ العصَب ، ومكّنه الصيادُ من الاستجابةِ لِمَواهِبِه ، فتَمَرَّس على فنونِ البطولة والشجاعةِ حتى كان بطلا لا يُشَقُّ له غبار ، ولا يوطأُ له قَدم .

كانت مدينة هذا الملك الظالم هذا ابتليَتْ بوحْشٍ ضَخم له هَيكل ثَورٍ ذى سَنامَين فوق ظهره ، وله أَرجلُ الأَسَد وذنبه ، ومخالبه ، وله رأْسٌ كرأْس الفيل وخرطوم طويلٌ كخرطومِهِ ، وله عَينٌ واحِدة فى وسَطِ رأْسِه .

وكانَ هذا الوحشُ يسكنُ فى غابةٍ موحشة منعزلةٍ فى ناحية من نواحِى الجزيرَة ، وكانَ يهجُمُ على المدينةِ من حين إلى حِين ، فيفترسُ من يَقع فى يَديْه من أَهْلِ تلكَ المدينة ، ذكرًا كان

أو أُنثى ، كبيرًا كان أو صَغيرًا ، وما كانوا ليسْتطيعوا له صَدًّا ولا دَفْعاً ، لأَنَّ له عَيْنًا واحدةً فى وَسَطِ رأْسِه ، ينبعثُ منها شُعاعٌ لامعٌ أَحمرُ ، إذا التقَى بنظر إنسان جَمدَ هذا الإنسانُ فى مكانه كأَنه تمثال من الصخر ، حتَّى يهجُمَ الوحشُ علَيْه ويلفه بخرطومه الطويل ويرجع به إلَى الغابة حيث يتخذُ منه غذاءَه .

وكانَ ملكُ المدينةِ قد ضجّ وأَخْفَقَ فى القضاءِ علَيْه بَعد أَن أَفْنى كثيرًا من الجنودِ والفرسان وشُجعان المدينةِ الذين كانوا يتنافسُون فى اصْطياده والفتكِ به ، ليُسَجلوا أَسماءَهم فى سِجلِّ البُطولةِ الخالد ، وليكونَ لَهم أَشرف أُحْدوثة فِى فَم الزمان .

كان فى المدينةِ امرأَةٌ عَجُوز ساحرَة ، مَرتْ

بعُمرهَا على أَجيالٍ عِدة ، وعَرفتْ من أَخبار الماضِين وأَخبارِ الجزيرةِ ما لم يعرفْه غيرها ، وكان منزلُها مجاورًا لمنزل الصياد، وبينهما جدارٌ صنَعَتْ فِيه ثقبًا صَغيرًا لا يكاد يبين لِأَحد ، لأَنه لا يلفت النظر إِلَيْه ، وكانَ هذا الثقْبُ يُمكّنها من الاستماعِ إِلى ما يَدورُ من الحديثِ بين الصّيادِ وزوجَتِهِ ، وعَرفتْ بذلكَ أَمرَ الْغُلامِ من وَقت العثور بهِ حَتى كان شابًّا فَتِيًّا ، كما عرفَت أَن له شامةً صَغيرةً حَمراءَ تحت ثديه اليُسْرى ، من حديث الصياد وزوجتهِ ، ورأَتْ هِي لمتَه الكثيفَةَ السوداء ، فعَرفتْ أَنه الفتى الموعود بقتلِ الوحْشِ وقتْل الملك الظَّالم ، وإِزاحةِ هذَين الكابوسَيْن عن صَدرِ المدينَة ، ولكنّه

لن يستطيعَ شيئًا أمامَ هذا الوحشِ إلا إذا أمَدَّتْه بمعونتها ، غيرَ أنَّها لنْ تُقدِّمَ تِلك المعونَة إلا فِى حِينِها ، وجَعلتْ ترقبُ فِى يقظةٍ ذلك الوقتَ الملائِمَ لتقْديم تلكَ المعُونة .

كان الملكُ قد بلغَ بهِ اليأْس مداه وغايته ، فأَعلَن أَنَّ من يقتلُ هذا الوحْش من أَبناءِ المدينةِ زوَّجه ابْنَته وأَشركَه فى حُكمهِ ، وفتَح بذلكَ باب التنافُسِ بعد أَن أَغلقَه اليأْسُ والقنوط والعَجز فى وجُوهِ الشجعان من أَهل المدينة ، وتقَدَّم فتيانٌ وفتَيات فذهبُوا مع أَمْسِهم الدَّابر ، وكانوا طعامًا لهذا الوحْشِ الكاسِر .

عرفت العجوزُ أَن الفتى مَبروكًا عزم على أَن

يخرج إلى الوحْشِ ليأْتِي أَهلَ المدينةِ برأْسِه ، فنادتْه إلى بَيْتها ، وخَلَتْ به فِي مكان بَعيدٍ عن الأَسماعِ والأَبصارِ وقالت له :

إنّك لنْ تستطيعَ لهذا الوحشِ لقاءً حَتَّى تَتحصّن ، وحِصنُك فى يَدِي .

قال : ولكِ يا أُمى كُلُّ ما تحِبّين مما تستطيعُه يَدَاي ما دمتُ حَيًّا إن وهبْت لى هذا الحِصْن ، لأَقْتلَ هذا الوحْش .

قالت : لِتَقتُلَ هذا الوحْشَ ، ولتقتُلَ وحشًا آخَر أَشد منه فتْكًا ، وأَعْظَم ظُلمًا .

قال : ومَن هذا يا أُمّى ؟

قالت : ملك المدينةِ الظالم الذى جاوَزتْ

أَخْطارُه أَخْطارَ الوُحُوشِ الضّارِية ، ومن أَجل هذا دعَوتُك وخَلوْتُ بِك ، ليكُونَ الأَمرُ سِرًّا بَينى وبيْنَك .

قال : لم يُفارق السّرُّ حِرزَه ، ولم يَبرحْ مَوطِنَه من قَلبِك . وما مِفتاحُه إلا لسانُك .

قالت : أَبْشر فإِنَّك الموعودُ بِقتل الوَحْشَين : وحْشِ الغابة ، ووحْشِ المدينَة ، وسيئُولُ ملكُها إليك ، وسَيسْعدُ أَهلُها علَى يَدَيْك .

قال : لكِ أَيَّتُها الأُمّ الكريمةُ شكرى ، ولن أَذهبَ إلى الوحْشِ حتّى تـأْمُرِينى .

قالت : ستَذْهَبُ إليه اليَوم ، وهذا مِنظارٌ مسحورٌ من الزّجاج ، لا ينْفذُ منهُ شعاعُ عَينِ الوحْشِ الأَحْمر الذِى إذا ما التَقى بنَظَر إنسانٍ جمَدَ

فِى مَكانِه كالصّخر ، فضَعْ هذا المنظَارَ علَى عَيْنَيْك ، واهجُمْ بسَيفِك علَى الوحْشِ حيثُما كان ، فإنه لا يحركُ ساكِنًاحتى يكون فى مُتناول سَيفِك ، اعتمادًا منْه على شعاعِ عَينِه الذِى يُحيلُ الإنسانَ إلَى تمثال من الصّخر إذا ما التقَى بنظرةٍ من نظراته ، فإذا كانَ الوحشُ فى متناول سَيْفك فاضربْ عنقَه ضربةً قويةً عاجلة تفصلُ رأْسَه عَنْ جَسدِه ، ثم احملْ هَذا الرأْسَ وارجعْ به إلى المدينة التى ستلقاكَ بالحفاوةِ البالغَةِ والتكريم العظيمِ .

والآن وجَب علىّ أَنْ أطلعَكَ على حقيقةِ أَمرِك ، وأَعرّفَكَ والديْكَ اللذيْنِ أَنْتَ من أَصْلابهما ودمائِهما ، وما فَعله الملك الظَّالم بك ، وكيفَ يكون مَصيرك فى يَدِه إنْ عرفَكَ ، فاسْمَعْ منّى وافْهم :

إنّ لكَ اسْمَيْن ، أما أَحَدهما فهو بشير عند والديك اللذيْن جئتَ من أَصلابِهما ودمائِهما .

وأَما الثانى فهو مبروك عند والديك اللذين نشأْت فى حضانتِهما وكفالتِهما ، وربَّياك حتّى بلغْتَ رشدكَ وقوتَك ، وأَصبحتَ بطلا يذودُ عَن الحِمَى ، ويركَن إليْهِ فى المُلمَّات .

قال مبروك : أريدُ أَن أَفْهَم .

قالت : ستَفهم وتَفهم فأَصْغِ إلىَّ :

كان ملكُ هذه المدينةِ الظَّالِم قد رأَى فى منامِه ذات ليلةٍ أَن طَائِرًا أَحْمرَ ذا رأْس أَسود قد حَطّ فوقَ رأْسِه فنقَره فِيه وغُشِى عَلَيْه ، ثم استيقَظ من نَومِه فزعًا ، وقَد ملأَ الرعبُ صدرَه من هذه الرؤْيا ،

فجمَع كبارَ المنجمين والمفَسّرين للأَحلامِ فى مَدينتِه ، وقَصّ عَليْهم رؤْياهُ هذِهِ ، وطلبَ إِليْهِم تـأْويلَها ، وحذّرَهم أَن يُخْفُوا عليْه شيئًا من تـأْويلها مَهْما يكُنْ من أَمْرِهِ ، فـأَجمعوا على أَنه سيولد فى مدينتِه غُلام ذو لمة سوداء ، وشامة صَغيرة حَمراء تحت ثَديهِ اليُسْرى وقالوا :

إِنّ هذا الغُلام خطر على مُلكك ، وسيكون مَبْعث متاعِبَ قاسية لا عِلمْ لهم بمَداها .

وكان الوزيرُ الأَكبر داهيةً فى المكرِ والخديعة ، فـأَشار على الملكِ أَنْ يصدِرَ القرار الآتى :

لقد تنبـأَ المنجمون بـأَن المدينَةَ مقبلة على عهد سعيد ، ينعم فيه أَهلُها بالثراءِ الواسع والنعيم الدائم ، وذلك على يَدِ غلامِ سيولد ، ويكون ذا لمة

كَثيفة سوداء ، وشامة صغيرة حمراء تحت ثديه اليُسْرى ، فمن يولد له هذا الغلام فليخْبرنا بمولده ، وليَسْعَ إلينا به ، لنمنَحَ والدَيه جائزةً سَنية ، ونمدهُما بالمال الكَثير ، حتى يَقُوما بتربيتِه تَربيةً كاملة فى رخاءٍ من العَيشِ ، وسَعة من المالِ ، وعِزة فى المنْشَإِ وحَتَّى يَخطو فى حياتِه خطوات سَريعة ، لنعجلَ إلى المدينة بالخير الذِى سيأْتِيها على يَديه .

قالت العجوز : ثم قال الوزيرُ الأَكبر :

وبهذا القرار يا مولاى لا يخشَى أَن يُكتم مولد هذا الغلام ، فكل أَبٍ وكل أُمٍّ يتمنيان أَن يكون لهما هذا الغلامُ الميمون ، وسيَسْعيان به إِليك سعيًا ونحنُ هاجعون ، فإِذا ما وقَعَ فى أَيدينا فأَمره يومئِذ لمولانا الملك .

قالت العجوز :- وذلك ما فعله الملك ، فقدْ جاءَه بكَ والدُك وأَمر الملكُ بإبقائِكَ عندَه ليربيكَ فى قصرِه ، ولكنّه بعدَ أَن تركك أَبوك عندَه أَمرَ أَن توضَع فى صُندوق، وأَن يغلقَ عليكَ إغلاقًا مُحْكمًا ، وأَن تُلقَى فى اليَمّ ، وفَعلَ كاتمُ أَسْراره ما أَمَر الملك .

وشاءَ القدرُ أَن تعلَق بِشبكة الصيادِ فحملك إلى داره ، وتبنّاك هو وزوجتُه، وسمياك مبروكًا ، ومَنحاكَ حنانَ الأَبوين ، وكفلاكَ خير كفالة حتّى بلغْتَ مبلغَ الرجُولة .

واعلَمْ يا بَشيرُ أَنه إن عرفَك الملكُ أَمَر الجلادُ بقتلكَ فى الحال ، فإذا أَنتَ فَرغْتَ من قتل وحشِ الغابة ، ودخَلتَ برأْسِه المدينة ، وكنتَ فى حضرة الملك فأَعجلْه ، بسيفِك بعدَ أَن تُبيّن لَه أَمرك ،

وتَكشِفَ له عنْ حقيقةِ نفْسِكَ ، ولا تَتركْ له فرصةً ينال فِيها مِنك .

فإذا فرغت مِنْ قتله آل إليكَ مُلكُه وكنتَ مَلكًا على المدينةِ ، ومَنحك أَهلها محبّتَهم وتأْييدَهمُ ، وتزوجت ابنتَه وعشْتَ سَعيدًا . ولا تَنس أَبَويْك اللذين جئتَ مِن أَصلابِهما ، ولا أَبَويك اللذين حَافظا على حياتك ، ونشأْت فى أَحضَانِهما وكَفالَتِهما فَهل فَهِمت ؟

قال بشير : فهِمتُ ولكِ شكْرِى .

أَخذَ بشيرٌ المنظارَ من العجوز وخبّأَه فى جَيْبه ، ثم أَخذ سيفَه ورمحه ودرعه ، وانطلقَ إلى الملك يَعرضُ نفسَه علَيه ليقتُلَ وحش الغابةِ ، ويجيئَه برأْسه ، ليحظَى بالمكافَأَةِ الملكية ، وهى زواجُه من ابنتِه ، واشتراكُه فى حكمِه .

ولما مَثُلَ بين يَدَيِ الملك وأخبَرَه أنه ذاهبٌ ليقتُلَ وحْش الغابة . قال له الملك :

هل عرفتَ مَصيرَ من خرجُوا من قبلِكَ إلى هذا الوحْشِ ولم يقتلوه ؟

قال بشير : عرفتُ أنّهم كانوا فريسَةً له .

قال الملك : اذهَب ولكَ ما شَرطت .

وشاع فى المدينة أن البطلَ مبروكًا سيأْتِيهم اليومَ برأْس الوحش ، فرفعوا أيديَهم إلى السماء ، وتضرعوا إلى اللهِ أن يحفظه ويَنْصُرَه .

ولما خرجَ إلى العَراءِ ساعيًا إلى غابَةِ الوحْشِ وضَع المنظَارَ على عَيْنَيه وسارَ قُدُمًا فى شجاعة وقوة ، وهناكَ استقبَلَه الوحشُ على حافةِ الغابة مُصَوِّبًا إليه شُعَاعَ عَينه الأَحمر ، وانتظرَ حتّى يَجمدَ أمامَه ، ثم

يهجم عليْهِ ويلف عليْه خرطومَه ويحْمله إلى مَأْواه ، ولم يحرك الوحشُ ساكنًا ، لأَنّه على يقين من أَنه سيَحمد فى أَيّةِ لحظة ، مهما يقتربْ منه . وما كاد الوحشُ يصيرُ فى متناولِ يَده حتى أَهْوى على عنقِه بَضربةٍ قوية من سَيفه ، ففصَل رأْسَه عن جَسدِه ، وارتمى الوحشُ جثة هامدة ، ثم انحنى بشيرٌ على الرأْس فحمله على سِنان رُمْحِه ، ورجعَ إلى المدينةِ يَخبُّ فى سَيره فرحًا فخورًا ، وما كاد أَهلُ المدينة يرونَه قادمًا إليْهم وهو يحمِل رأْس الوحشِ على سِنان رمْحِه حَتّى أُهرعُوا إليه كأَنَّهم السّيل الذِى تَصَدّع سَدُّه ، أَو جماعات الطَّير أَفزعَها صوت المدفع ، وسار بينهم فى مَوكب عظيم حتى قَصر الملك ، وهنَاكَ وضَع الرأْسَ بَين يَديْه وقال له :

أَلستُ الآنَ جديرًا بـأَن أَكون زوجًا لابنتِك وأَن أشركَ فى مُلكِك ؟

قال الملك : أُحبُّ أَن أَعرفَ من أَنْتَ ؟ ومنْ أَىِّ بيتٍ فى مدينَتِى قبلَ أَن أَفِىَ لكَ بشَرطى ؟

قال بشير : هبنِى من تَشاءُ ، فقد قتلتُ لكَ وحْشَ الغابة ، وأَتيتُكَ برأْسِه .

قال الملك : قد تكون من بيت غير كفءٍ لأَن أُصاهِرَه ، وإِذا كانَ الأَمْرُ كذلكَ فلنْ أُبيح لنَفسِى أَن أَحُطَّ مِن قَدرِى بمصَاهرتِك .

قال بَشير : هَبْه غيرَ كفءٍ لِمصاهرَتِك ؛ أَلم يصبح الآن بفضْلِ شجاعَتى وقدرتى على ما لم يقدِرْ عليه شجاعٌ غيرى جديرًا بمصاهرتِك ؟

قال الملك : ومَن أَنْتَ حتى ترفعَ الوضِيعَ وتُعِز الذَّليل ؟

قال بشير : أَنا ذلكَ الغلامُ الذِى أَلقَيتَه فى اليَمِّ لتخلُصَ مَن خَطرِهِ ومتاعِبِه ، أَنا بشير ابن فلان وفلانة ، أَنا الذِى انتهيتُ من وحْشِ الغابة ، والآنَ أَنْتهِى منَ وحْشِ المدينة وضرَب الملكَ بسيفِه ضَربةً أَلقَتْ رأْسَه بين يَدَيه .

ثم غرس رمْحَه فى صدر وزيرِه الأَكبر فمزق قلبه ووقع على الأَرض صَريعًا . وقال بشير :

وهذا وزيرك الماكرُ الذِى خدَعَ أَبَوى حتى أَسلمانى إِلَيْك .

وفى الْحَال سَمِع الهتاف من أَهل المدينة يُدوِّى

فى الجو ويقولون : بشير ملك علينا ، يحَيا الملك بشير . . .

أَصبح بشير ملكًا على المدينة وأَحضَر إليه أَبَوَيْه فَعرفَاه وفرحا لعودته وملكه ، وعاشا معه فى قصرِه ، كما أَحضر والديه اللذين ربياه وكفَل لهما عيشة راضية ، ثم زفتْ إليه ابنة الملك ، واستمتعت المدية فى عَهده بالعدل والرحمة والحرية الكاملة ، فى حدود القانون العادل والفضيلة .

فرغ الوالد من حكاية « الوحشان » فسر الأولاد وفرحوا ، ثم قال الوالد : موعدنا الليلة التالية حيث أحكى لكم حكاية أخرى من « حكايات الليالى » .

طاب مساؤكم يا أبنائى ، وتصبحون على خير .

رقم الإيداع	١٩٩٤ / ٨٣٣٦
الترقيم الدولى	ISBN - 977 - 02 - 4697 - 2

٧ / ٩٤ / ١٩٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)